مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10/ العدد: 3 (2022)، ص: 487-505

الخصائص النفسية للأطفال الجانحين -دراسة عيادية من خلال الإنتاج الاسقاطي-

Psychological characteristics of delinquent children – a clinical study through projective production-

سميرة مرداس[1]

[1] جامعة يحي فارس بالمدية (الجزائر)، merdassamira5@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/07/16 تاريخ القبول: 2022/09/21 تاريخ النشر: 2022/10/08

ملخص: إن الأطفال لا يولدون جانحين، وسلوكهم الجانح هو تعبير سلوكي ظاهري ناجم عن تداخل مجموعة الظروف والعوامل الذاتية والأسرية والمجتمعية ككل والتي أسهمت في ظهور الجنوح وتطوره. تهدف دراستنا للكشف عن الخصائص النفسية للأطفال الجانحين، وهذا من خلال تطبيق اختبارين اسقاطيين هما: اختبار الرورشاخ وتفهم الموضوع. تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج العيادي القائم على دراسة الحالة، نحن هنا بصدد تقديم دراسة ميدانية لـ12 طفلة متواجدة بمركز إعادة التربية بالجزائر، تم وضعهن من طرف الشرطة بقرار من قاضي الأحداث باعتبار أنهن في خطر معنوي بسبب هروبهن من المنزل. أسفرت نتائج الدراسة عن تحقق فرضية البحث و التي مفادها أن الأطفال الجانحين أي الهاربين من منازلهم أظهروا خصائص نفسية مشتركة في اختباري الرورشاخ وتفهم الموضوع والمتمثلة في: الكف، القلق الحاد، الاكتئاب الشديد، صعوبة التقمصات و التكيف مع الواقع.

كلمات مفتاحية: الخصائص النفسية، الأطفال الجانحين.

Abstract Children are not born delinquent, Their delinquent behavior is an apparent behavioral expression resulting from the interaction of a set of circumstances and subjective, family and societal factors as a whole, which contributed to the emergence

and development of delinquency. Our study aims to reveal the psychological characteristics of delinquent children, This is done by applying two projective tests: Rorschach test and understanding the subject. In this study ,the clinical approach based on a case study was adopted, We are here to present a field study for 12 girls in the Re-education Center in Algeria, They were placed by the police by a decision of the juvenile judge, considering that they were in moral danger because of their escape from the house.

The research hypothesis was verified, which is that the delinquent children, that is, those escaping from their homes, showed common psychological characteristics in the Rorschach tests and the understanding of the subject ,which are: Cease, severe anxiety, severe depression, difficulty in reincarnation and adapting to reality.

Keywords: psychological characteristics, delinquent children.

المؤلف المرسل: سميرة مرداس

1. مقدمة

تعتبر مرحلة الطفولة مرحلة مهمة باعتبار أن الطفل يشبع فيها حاجاته النفسية والاجتماعية. يحدث هذا من خلال الدور الذي تقوم به الأسرة في مساعدة الطفل على اكتساب مهاراته وخبراته الأولى و تكوين شخصيته مستقبلا.

تلعب الأسرة دورا هاما في حياة الطفل منذ ولادته، كونها تعمل على تنشئته والعناية به فتنمي وتطور قدراته واستعداداته و اتجاهاته، و تحقق له الشعور بالأمن، الحب و العطف حيث يكون له أثر ايجابي على مستقبل الطفل. كل هذا يحدث عن طريق الدور الذي تلعبه الأسرة، لأنها المحور الأساسي في حياة الطفل.

إن أسلوب تربية الراشد للطفل ينعكس على تطور الأنا وتماسكها، كما يعمل على صياغة الأنا الأعلى سعيا وراء تكامل الشخصية بكل جوانبها البيولوجي

والعقلي والروحي والنفسي والاجتماعي والانفعالي. (مجاهدة الشهابي الكتاني وآخرون، 2001، ص 212)

إذ تشير دراسة ميزاب ن. (2007) أن ممارسات الوالدين من خلال جهاز الأسرة ونوعية التفاعلات الجارية بداخله و كيفية إدراك الطفل لذلك هي السبب المهم في تكوين السلوك السوي و اللاسوي.

ظاهرة جنوح الأحداث- حيثما وجدت وفي أي مجتمع- لها دلالتها الواضحة، أبرزها ما يعانيه المجتمع جراء تلك الأفعال الإجرامية ولما فيها من التهديد لأمن المجتمع وسلامته، وما يتعرض له أبناء تلك المجتمعات التي تنتشر فيه تلك الظاهرة الجانحة- خاصة الأطفال والشباب وهم أمل المستقبل وعدته لمخاطر جسيمة. (صالح بن محمد آل رفيع العمري، 2002، ص 10)

2. الإشكالية:

تظهر مشاكل الأطفال في حياتهم اليومية من خلال سلوكهم و تصرفهم مع أوليائهم أو في محيطهم، فكثيرا ما تؤدي المشكلات النفسية التي يعانون منها إلى القيام بسلوكات غير مقبولة اجتماعيا كالسلوك العدواني أو الهروب من المنزل مما يؤثر على المحيطين بهم، فشخصية الطفل تكون حسب نوعية التربية و المعاملة التي يتلقاها في كل من الأسرة باعتبارها الحاضنة الأولى له. (مجاهدة الشهابي الكتاني وآخرون، 2001، ص 212)

ذكر مختار و.- ص. (2000) أنه إذا كانت البيئة الأسرية غير صالحة لتربية الطفل تربية سوية، فإن الطفل قد يصاب بأحد المشكلات النفسية كالقلق أو الخوف أو الاكتئاب و المشكلة الحقيقية التي تكمن وراء ذلك تتركز في أن الطفل لا يستطيع أن يعبر عن مكنونات نفسه، و من ثم فإن هذه الآلام النفسية يمكن أن تظهر على شكل مشكلات سلوكية كالتلعثم في الكلام، التبول اللاإرادي أو إصابته

بحركات غير إرادية لا يستطيع التحكم فيها، و قد يضطرب سلوك الطفل، فيكذب ويسرق أو يهرب من المدرسة.

حاولت أغلب الدراسات العربية تحديد أسباب السلوكات الجانحة، نذكر هنا دراسة سعيد محمد ن. وآخرون (1993) التي أرجعت انحرافات السلوك لدى المراهقين بدولة الإمارات العربية المتحدة إلى التنشئة الاجتماعية أثناء الطفولة التي تتسم بالإهمال والانتهاك الجسدي والجنسي والقسوة الشديدة أو اللين المفرط، كلها تزيد من معدلات الانحراف بين الأحداث نتيجة عدم قدرتهم على إكسابهم أنماط السلوك التكيفي السوي. بالإضافة إلى ضعف العلاقات والروابط.

نفس الشيء أكده عكاشة أ. باعتبار أن ظروف التنشئة أثناء مرحلة الطفولة تلعب دورا مهما في تطور الشخصية وخاصة في مرحلة ما قبل المدرسة ويلعب الوالدين فيها دورا رئيسيا، كما أن الإهمال والانتهاك الجنسي والجسدي للطفل له دور في نمو اضطرابات الشخصية وخصوصا اضطراب الشخصية البينية والمضادة للمجتمع (عكاشة أ.، 1998).

وإذا ما ازداد أسلوب التنشئة الاجتماعية لا مبالاة بالطفل إلى درجة الحرمان العاطفي وضعف التعاطف الوالدي معه وافتقار الجو الحميمي، يتوقع للطفل أن يمتثل لحياة العصابة وكأنها بديل عن سلطة الأسرة، وقد يسعى إلى تزعم العصابة نتيجة عدوانيته، فيتحدى المجتمع ويعادي الآخرين ويلومهم لأنه يراهم مصدر الظلمة واضطهاده، وقلما يشعر بالندم أو الذنب على سلوكه العدواني الذي يقترفه. ولا يهتم للثواب أو العقاب، وهدفه الأساسي استقطاب اعتبار أفراد العصابة لشخصه، لتعزيز شعوره بالأهمية تعويضا عن إهمال أسرته له. (مجاهدة الشهابي الكتاني و آخرون، 2001، ص 214- 215)

وهناك حقيقة مهمة وهي أن بوادر الانحراف تظهر لدى الأحداث في المدرسة وخاصة بالنسبة لمخالفة القوانين الداخلية والنظام، ومن المتوقع أن تقوم المدرسة ببعض المهام التي هي من صميم الاختصاصات المطلقة للأسرة وذلك لأن تصرفات الحدث الخاطئة يمكن أن يلاحظها المعلم قبل أي شخص آخر، فقد يعزى انتشار الجريمة إلى نقص الإمكانيات الموجودة في المدرسة ونقص في العناية الفردية بالطلاب والازدحام في المدارس. (صالح بن محمد آل رفيع العمري، 2002، ص 86-87)

و نحن هنا بصدد تقديم دراسة تطبيقية لـ12 طفلة موجودة بإحدى مراكز إعادة التربية بالجزائر اللاتي تم وضعهن من طرف الشرطة بقرار من قاضي الأحداث لاعتبار أنهن في خطر معنوي بسبب فرارهن من بيوتهن.

نطرح في هذه الدراسة التساؤل التالي: هل هناك خصائص نفسية مشتركة تجمع بين بروتوكولات الأطفال الجانحين في اختباري الرورشاخ و تفهم الموضوع؟

3. الفرضيات:

نفترض أن هناك خصائص نفسية مشتركة تجمع بين بروتوكولات الأطفال الجانحين في اختباري الرورشاخ و تفهم الموضوع، و التي تظهر في: الكف، القلق الحاد، الاكتئاب الشديد و صعوبة التقمصات و التكيف مع الواقع.

4. مفاهيم الدراسة:

1.4 الخصائص النفسية:

التعريف الاصطلاحي: هو مفهوم يطلق على بعض الأساليب السلوكية المعبرة والمميزة في مواقف اجتماعية معينة، والتي يتوقع حدوثها في مواقف مماثلة أو مشابهة، مما يسهل عملية التنبؤ بالسلوك، إذا عرفت أبعاد الموقف المثير. وتتسم هذه الأساليب السلوكية بالثبات النسبي والعمومية. (مجاهدة الشهابي الكتاني و آخرون، 2001، ص 228)

التعريف الإجرائي: هي مجموع السمات النفسية التي يتسم بها الطفل الجانح والتي تظهر في الانتاج الاسقاطي لاختباري الرورشاخ وتفهم الموضوع، و التي افترضنا أن تتمثل في: الكف، القلق الحاد، الاكتئاب الشديد، صعوبة التقمصات و التكيف مع الواقع.

2.4 الطفل الجانح:

التعريف الاصطلاحي: هو كل طفل أو مراهق ينحرف بسلوكه عن المعايير الاجتماعية السائدة بشكل كبير يؤدي إلى إلحاق الضرر بنفسه أو بمستقبل حياته أو المجتمع ذاته. (صالح بن محمد آل رفيع العمري، 2002، ص 22)

التعريف الإجرائي:

هو الطفل الذي تراوح سنه بين 10 و 11 سنة متواجد بأحد مراكز إعادة التربية بالجزائر، تم وضعه بأمر من قاضي الأحداث باعتبار أنه في خطر معنوي بسبب ارتكابه لجنحة الهروب من المنزل. و وجوده قد يكون لفترة وجيزة إلى أن يتمكن المركز بالاتصال بأسرته.

5. منهج الدراسة: تم الاعتماد على المنهج العيادي في هذه الدراسة، نظرا لطبيعة الموضوع المراد دراسته فهو يهتم بالتحليل المعمق و المفصل للحالة، فهو حسب بيرون ر. (**R.Perron**، 1964) منهج معرفي للسير النفسي الذي يهدف إلى تصميم بنية معقولة لأحداث نفسية صادرة من شخص معين.

يرى لاقاش نقلا عن روشلين م. (**M. Reuchlin**، 1998) أن المنهج العيادي يتضمن دراسة السلوك في إطاره الحقيقي، و يكشف بكل أمانة ممكنة عن طرق التعايش و التفاعل لكائن بشري محسوس و كامل ضمن وضعية ما. و يعمل على إقامة العلاقات بينها في المعنى، البنية والتكوين، و يكشف عن الصراعات التي تحركه، يطبق هذا المنهج مع السير المتكيفة، كما يطبق مع السير المضطربة، فهو منهج جدير بتنمية المعارف في ميدان علم النفس.

و يتفق هذا المنهج مع طبيعة الدراسة من حيث عدد أفراد البحث، و طبيعة التساؤل المطروح والمتمثل في البحث عن الخصائص النفسية للأطفال الهاربين من منزلهم.

يهدف المنهج العيادي حسب بدينيلي ج.- ل. (**J.-L. Pedinielli**، 1994) إلى خلق وضعية تحمل أقل قدر من الضغط، قصد جمع أكبر قدر من المعلومات، تكون أبعد ما يمكن عن التصنع، و ذلك بترك إمكانية التعبير للمفحوص. تكمن ميزة هذا المنهج في كونه لا يعزل المعلومات عن بعضها البعض، إنما يحاول جمعها ووضعها في إطار ديناميكي للشخصية.

6. مجموعة البحث:

وقع الاختيار على 12 طفلة تراوح سنهن بين 10 و 11 سنة موجودات بأحد مراكز إعادة التربية بالجزائر، تم وضعهن بأمر من قاضي الأحداث باعتبار أنهن في خطر معنوي بسبب الهروب من المنزل. و وجودهم قد يكون لفترة وجيزة إلى أن يتمكن المركز بالاتصال بأسرهن والوصول إلى إعادتهن للأسرة. نشير إلى أنه في بعض الحالات قد ترفض الأسر استعادة بناتهن في حالة انفصال الوالدين مثلا، كما قد ترفض الطفلة العودة إلى المنزل بسبب تعرضها للضرب المبرح من طرف الوالدين أو حتى الإخوة.

7. أدوات البحث: تم جمع البيانات من خلال تطبيق اختبارين اسقاطيين هما اختبار الرورشاخ وتفهم الموضوع اللذان يعتبران كاختبارين اسقاطيين مكملان لبعضهما البعض. واللذان يهدفان إلى الكشف عن التوظيف النفسي للفرد، إلا أننا اخترناهما للكشف عن بعض الخصائص النفسية لهؤلاء الأطفال. يسمح هذان الاختباران بمعرفة طبيعة ونوعية السياقات النفسية التي يستعملها الفرد من أجل التعامل والتفكير في العالم وفي ذاته، وكيف تكون العواطف والتصورات، كما يسمح بالتعرف على طبيعة الإنتاج الاسقاطي لهؤلاء الأطفال.

1.7 اختبار الرورشاخ:

يعتبر الرورشاخ من الاختبارات الاسقاطية، صممه السيكاتري هارمان رورشاخ (**HERMANN RORSCHACH**) عام 1920، و هو " اختبار يضم لطخات حبر تسمح بدراسة الحياة الخيالية و تكوين تشخيص سيكولوجي للشخصية، سواء كانت عادية أو مرضية " (**C. Chabert**، 1983، ص 3- 4). فهو اختبار لا يسمح بدراسة الحياة الخيالية فقط، و إنما القيام بتشخيص نفسي للشخصية، سواء كانت هذه الشخصية عادية أو مرضية.

يتكون اختبار الرورشاخ من عشرة (10) لوحات مختلفة، فهو عبارة عن " مادة غير تمثيلية، ترتكز على أشكال بها حدود يمكن بواسطتها وضع موانع بين ما هو داخلي و خارجي لكل لوحة " (**C. Chabert**، 1983، ص 2).

اللوحة الأولى (**I**) سوداء، اللوحتان الثانية و الثالثة (**II** و **III**) نجدهما بالأسود و الأحمر، أما اللوحات **VII,VI,V,IV** نجدهم فقط باللون الأسود، في حين اللوحات الثلاثة الأخيرة (**X, XI, VIII**) نجدها ملونة. كما تشتمل هذه اللوحات على فراغات بيضاء متفاوتة العدد و المساحة. و نظرا لأن البقع غامضة وغير محددة البنيان، فإنه يصعب الحكم على استجابات المفحوص بالصواب أو الخطأ، و بالتالي فإن إدراكه للبقع يعكس دينامية شخصيته.

2.7 اختبار تفهم الموضوع (T.A.T):

يعتبر اختبار تفهم الموضوع و الذي يرمز له بـ (**T.A.T**)، و معناه باللغة الإنجليزية "**Thématique Apperception Test**" أحد اختبارات الشخصية التي تساعد على الكشف عن مختلف جوانبها من حيث رغباتها، صراعاتها و آلياتها الدفاعية، كما يساعد على التشخيص و فهم السير العقلي للفرد و تحديد البنية النفسية له. و قد وضع هذا الاختبار سنة 1935 من طرف الطبيب البيوكيميائي

الأمريكي موراي هـ (**Murray H.**) و ساعدته في ذلك مورجان ك. (**Morgan K.**).

يتكون اختبار **T.A.T** من 31 لوحة تشمل مشاهد لأشخاص غير معرفين في وضعيات مختلفة، و على ظهر كل لوحة رقم يشير إلى ترتيبها ضمن باقي لوحات الاختبار، و أحرف باللغة الإنجليزية تشير إلى الفئة (السن و الجنس) التي تقدم لها اللوحة، و هي كما يلي:

B: تقدم للذكور الصغار (أقل من 14 سنة). **G**: تقدم للإناث الصغيرات (أقل من 14 سنة).

M: تقدم للذكور الكبار. **F**: تقدم للإناث الكبيرات.(**boy = B** - ولد ، **G = Girl** - بنت ، **male = M** - رجل ، **F = female** – امرأة) .

ارتأت ف.شنتوب أن تختار من اللوحات الأصلية (31) تلك التي هي أكثر دلالة وأكثر ملائمة لديناميكية "سياق ال**TAT**" ، وتتمثل في 18 لوحة من 31 ، بمعدل 13 لوحة لكل صنف عوض 20 ، تمررها للمفحوص في حصة واحدة .

يسمح هذا الاختبار بالقيام بتشخيص عيادي، انطلاقا من عملية الإسقاط التي يقوم بها المفحوص عند نسجه للقصص. تسمح هذه القصص بالتعرف على إمكانيات الأنا، كما تدل الاضطرابات التي نجدها في بناء القصة على اضطراب في وظائف الأنا المتعلقة بالصراع الذي نشطته الهوامات التي أثارتها اللوحات.

يعكس تتابع السيرورة التقمصية على طول البروتوكول معالم هوية المفحوص، كمعالجة النزوات العدوانية والليبيدية ومدى التوازن بين العالم الداخلي و العالم الخارجي.

ذكرت كل من برولي فولارت ف. و شابير ك. (**Brelet–Fouart F., Chabert C.**، 2003) أن اختبار تفهم الموضوع يكشف عن محورين هامين، المحور النرجسي الذي يسمح بالتعرف عما إن كان هناك استقرار للهوية أو أن

وحدتها صعبة الانجاز، و عما إذا كان هناك وضوح في التماهيات. في حين يسمح المحور العلائقي بمعاينة الحركات الليبيدية و العدوانية.

كما أكد بودان م. (**Baudin M.**، 1995) أن اختبار تفهم الموضوع يعطي صورة أدق للوضعيات التقمصية المرتبطة بنوع القاعدة النرجسية و الصراعات. فالاستثمارات النرجسية للمواضيع التي تدعم ظهور أثر النزوات تتركز في إشكالية أساسية هي إعادة النشاط للسياقات الانفصالية و أثرها في التحكم في الهوية الذاتية المستقرة؛ و كذا إعادة النشاط للمشكل الأوديبي و نتائجه في وضعية التقمصات الجنسية و اختيار الموضوع.

8. نتائج الدراسة: سنحاول هنا تلخيص أهم النتائج المتوصل إليها من خلال اختباري الرورشاخ و تفهم الموضوع لمناقشة فرضية البحث:

استخلصنا من خلال تحليلنا لنتائج الاختبارين لأفراد مجموعة البحث أن هناك خصائص مشتركة تجمع بين بروتوكولاتهم، من خلال طغيان الكف و التجنب سواء على مستوى اختبار الرورشاخ أو اختبار تفهم الموضوع، هذا بالرغم من وجود صبغة خاصة بكل مبحوثة؛ سنتعرض هنا إلى أهم نتائج الاختبارين من خلال مناقشة فرضية البحث و التي فحواها أنه يتميز الإنتاج الاسقاطي للمبحوثات بالكف، القلق الحاد، الاكتئاب الشديد و صعوبة التقمصات و التكيف مع الواقع.

1.8 نتائج اختبار الرورشاخ: على مستوى اختبار الرورشاخ، تجلى القلق عند مجموعة بحثنا من خلال الرغبة في التخلص من وضعية الاختبار الذي ظهر في قصر زمن الكمون و زمن الاستجابة، قلة عدد الإجابات، الرفض الكبير للوحات، كلها علامات توحي بالكبت الشديد الذي يعكس قلقا ملحوظا، هذا بالإضافة إلى نوعية الإجابات المقدمة من طرف المبحوثات و التي تدعم وجود القلق.

لاحظنا وجود عدد معتبر من الصدمات في اختبار الرورشاخ بشتى أنواعها: الصدمات الفاتحة القاتمة، صدمات الفراغ الأبيض، صدمات اللون الأحمر وصدمات اللون التي كان تكرار ظهورها وفقا لهذا الترتيب.

بالنسبة لطرق التناول فلم تظهر سيطرة محددة لنوع واحد، و الذي قد يرجع لصغر مجموعة البحث، إذ توزعت ما بين التناولات الشاملة و الجزئية مع ارتفاع نسبي لمعدل التناولات الشاملة، و الذي قد يرجع للخوف من إدراك الجزئيات والحاجة للم شتات صورة الذات المبعثرة. فاستعمالهم للإدراكات الشاملة بدلا من الجزئية يأتي كميكانيزم دفاعي ضد قلق التجزئة الذي يهدد حياتهم النفسية ويعرضهم لفقدان توازنهم النفسي.

أتفقت نتائجنا مع رأي مجاهدة الشهابي الكتاني (2001) التي وجدت أن الميل الوالدي للحماية الزائدة للطفل يسيء إلى نموه الانفعالي، كما أن استنفار مشاعر الطفل نحو الكف الزائد لعفوية السلوك واعتداله، يمهد لتكوين النمط العصابي للشخصية التي يحيطها القلق والشعور بالدونية وعدم الكفاءة. (مجاهدة الشهابي الكتاني و آخرون، 2001، ص 215)

بالإضافة إلى هذا، ما أثار انتباهنا أثناء التطبيق هو أن أغلب المبحوثات تميزن بالتكلم بصوت منخفض، حتى أننا كنا نتدخل في عدة مرات لنطلب منهن رفع أصواتهن؛ بالإضافة إلى تجنبهن النظر إلينا بصورة مباشرة، والذي قد يرجع للقلق والخوف أو للشعور بالذنب. كما كانت المبحوثات في كل مرة تدرجن تعليقات توحي بمدى انزعاجهن و ضيقهن من الوضعية التي طلب منهن الخضوع لها، مثل: تصاور مش ملاح، تصاور يقلقوني، ما عندهم حتى معنى .

بالنسبة للاكتئاب ظهر من خلال سيطرة المحددات الشكلية التي تدل على وجود نزعة اكتئابية، إذ قدر معدل نسبة الإجابات الشكلية بـ **F٪ = 71** ؛ كذلك اتجاه الإنتاجية العامة للمبحوثات نحو الكف بمعدل 12 إجابة، حيث نجد

انخفاض طفيف في إنتاجيتهن عن المعدل الذي اعتمدنا عليه، مع الإشارة إلى أن هذا الكف تم تداركه على مستوى التحقيق من حيث تمكن المبحوثات من تقديم إجابات إضافية معتبرة في التحقيق و التي قدرت بمعدل ستة (06) إجابات إضافية للمبحوثة الواحدة.

يشير تحليل نمط الصدى الداخلي إلى سيطرة النوع المنبسط الذي ظهر عند سبع (07) مبحوثات، مما يدل على أن الحركات الفكرية كانت محاطة برقابة شديدة، وتراوحت العواطف فيه ما بين عواطف معتبرة و عواطف خافتة التي لم تظهر إلا من خلال انخفاض الرقابة أو تلاشيها. أما فيما يتعلق بالمحددات فنلاحظ قوة اللجوء للمحددات الشكلية، الأمر الذي لم يمنعهم من الوقوع في الانزلاقات والتي تعكس صعوبة تكيفهم مع الواقع.

ظهر الاكتئاب كذلك من خلال سيطرة الكف و التجنب أثناء التطبيق من خلال المقتطفات التي سبق تقديمها، فكل تلك العبارات مثل: « ما عرفتهاش، ما قدرتش، يشبه لحوايج مش ملاح....» تعكس مشاعر التجنب، الحذر و لوم الذات.

على الرغم من مظهر الطفل الذي ينم عن الطاعة والسلوك المعتدل في المدرسة، والالتزام بالهيكل العام للنظام، إلا أنه – كرد فعل للخضوع المفروض عليه من قبل الأسرة- يتجه إلى الانعزال عن الآخرين ويتخذ سلوكه نمطا ساديا خبيئا، يعبر عنه مثلا بالسرقة القسرية الرمزية دون مبرر مادي لعدم قدرته على ضبط اندفاعه أو بأشكال أخرى من السلوك الانحرافي. (مجاهدة الشهابي الكتاني وآخرون، 2001، ص 215)

أما فيما يخص التكيف مع الواقع و نوعية التقمصات، فالمبحوثات قدمن استجابات مبتذلة بمعدل استجابتين (02) للمبحوثة الواحدة و هو عدد لا بأس به بالنظر إلى معدل الإنتاجية الذي قدر بـ 12 إجابة، في حين نلاحظ صعوبة التكيف مع الواقع من خلال كثرة الإجابات السلبية مما يؤكد صعوبات أفراد

مجموعة البحث أمام الاختبار، أضف إلى ذلك انخفاض الاستجابات الإنسانية و انعدامها عند خمس (05) مبحوثات، بالمقابل نلمس ارتفاع المحتويات التشريحية، الجزئية الإنسانية والاستجابات المتعلقة بالطبيعة عند بعض المبحوثات.

صعوبة تقمص صورة إنسانية بدا واضحا على مستوى أغلب البروتوكولات، وبالضبط على مستوى اللوحة **III** التي توحي بذلك، مما قد يدل على المشاكل البيشخصية والعلائقية للمبحوثات مع الأشخاص كأفراد الأسرة مثلا.

"نجد محتويات حيوانية أخرى تهيمن على خيال الطفل منها ما يختص بميزة الخفة والطيران كالفراشة الواردة في كل اللوحات و"طير، حمامة، **mouche**" في أغلب اللوحات، ويعزز الأطفال عادة هذه الميزة بمحتوى جزئي من الحيوان كما سبقت الإشارة إلى ذلك وهو "**ailes**" المتكرر كثيرا والذي يدل على رغبة الطفل في السمو والتطور" (سي موسي ع.، بن خليفة م. وآخرون، 2004).

2.8 نتائج اختبار تفهم الموضوع:

بالنسبة لنتائج اختبار تفهم الموضوع جاءت تصب في نفس سياق نتائج اختبار الرورشاخ، فقد ظهر القلق هنا من خلال وجود السياقات الممزوجة بمشاعر الذنب، فالسيطرة كانت كبيرة لسياقات التجنب بمجموع 689، أي بمعدل 57 مرة للمبحوثة الواحدة، تليها سياقات الرقابة بمعدل ثلاثة عشر (13) مرة للمبحوثة الواحدة، ثم سياقات المرونة بمعدل ثمانية (08) مرات للمبحوثة الواحدة و أخيرا السياقات الأولية بمعدل ستة (06) مرات للمبحوثة الواحدة.

سياقات تجنب الصراع تمثلت خصوصا في: الميل العام للاختصار (**CP2**) بمعدل إحدى عشرة (11) مرة للمبحوثة الواحدة، التمسك بالمضمون الظاهري (**CF1**) بمعدل تسعة (09) مرات، الابتذال و عدم تحديد أسباب الصراع

(**CP4**) بمعدل ثمانية (08) مرات للمبحوثة الواحدة، الصمت الهام أثناء السرد (**CP1**) بمعدل 08 مرات للمبحوثة الواحدة مع غياب زمن الكمون الأولي الطويل في معظم البروتوكولات و عدم التعريف بالأشخاص (**CP3**) الذي ظهر بمعدل 05 مرات للمبحوثة الواحدة؛ كل هذه البنود تصب في هدف واحد و هو إعاقة التصورات والعواطف عن البروز، من حيث كونها مصدرا للقلق لذا غلب على معظم البروتوكولات طابع الكف و الميل العام للاختصار.

و إلى جانب القيمة الكمية للبنود السابقة و التي تعكس كثيرا من القلق، فإن نوعية الإجابات جاءت كذلك لتظهر هذا الأخير و بصورة واضحة من خلال ما يلي: « ما فهمتش هنايا، ما عرفتش واشن هنا، ما كاش ما عرفتش، ما علابالیش، ما عرفتهاش، ماني نشوف والو، هذي... ما قدرتش نفهمها، ما فيها والو غير عجوزة، ما فيها والو، هذي ما تبانلها لا ساس لا راس، كلش مخلط، هذي فارغة ما فيها والو، نشوف دار، مرا بصح ما علابالیش واش راهي دايرا؟، واش راح نفهمك؟، راني نشوف بلي راهي مخلوعة بصح ما علابليش واش راهي دايرا؟، نشوف طفلة صغيرة مع ماماها **non**؟، ما راهمش واضحين **bien** نشوف غير **des personne**، ما راني نشوف والو راني نشوف كلش كحل ما كاش أشكال، صعاب». هذا بالإضافة إلى الرفض المعتبر للوحات، إذ سجلنا 16 رفض أي بمعدل رفض واحد (01) للمبحوثة الواحدة. كل هذا يعكس مدى الضيق و الصعوبة التي واجهتها المبحوثات أمام لوحات اختبار تفهم الموضوع.

ظهر الاكتئاب كذلك من خلال الاختصار الشديد الذي طغى على معظم البروتوكولات، حيث تظهر عدم الرغبة في التجاوب مع الباحث و مع وضعية الاختبار ككل، فأفراد مجموعة البحث عملوا على تقديم إجابات قصيرة يكتنفها كف كبير للتصورات و السرعة في الإجابة للتخلص من الوضعية من خلال بند الميل العام للاختصار (**CP2**) الذي عرف أكبر معدل عند المبحوثات اللاتي أظهرن

حساسية أكبر للوحات اختبار تفهم الموضوع، قد يرجع هذا لبنائه الواضح من حيث احتواءه على صور إنسانية واضحة و ما تثيره من صراع يهدد توازنهن النفسي. لذا فمن الطبيعي أن تلجأ المبحوثات إلى الكبت و الكف كوسيلتين لضمان الأمن والاستقرار النفسي الذي اضطرب من جراء ما آثاره الاختبارين الإسقاطيين.

ظهر الاكتئاب كذلك من خلال بند التعبير عما هو مشعور به ذاتيا (**CN1**) الذي تكرر بمعدل ثلاث (03) مرات، فغالبا ما كانت المبحوثات تكرر كلمات (يبكي، حزين) في بروتوكولاتهن و خصوصا في اللوحة **3BM**. كما أن الرفض المعتبر للوحات أي تجنبها من خلال الامتناع عن سرد قصص تخصها، أي عدم القدرة على ارصانها وهو ما يوحي بوجود الاكتئاب. هذا بالإضافة إلى مشاعر الذنب التي ظهرت من خلال عبارات مثل: « ما عرفتش، ما فهمتش، ما فيها والو، ما قدرتش نفهمها، ما علابالیش....»، هذه الكلمات التي تعبر عن عدم قدرة المبحوثات على سرد قصص تتجاوب مع محتوى اللوحات، و لعل ذلك راجع إلى القمع المفرط للتصورات التي يمكن أن تثار و تكون مصدرا للقلق و مشاعر الذنب الكبيرة.

أما فيما يخص نوعية التقمصات و التكيف مع الواقع، أي مدى تكيف المبحوثات مع اختبار تفهم الموضوع وقدرتهم على التجاوب مع لوحاته و إشكالياته المختلفة، أظهرت المبحوثات صعوبات كبيرة في ذلك تجلت من خلال الكف الشديد الذي طبع اغلب بروتوكولات المبحوثات كما سبق و أن ذكرنا، فالقصص كانت مختصرة بشدة و بالكاد نتكلم عن قصص و الأصح هو أنها كانت مجرد عبارات أو كلمات، الأمر الذي يدل على محاولة الهرب و تجنب وضعية الاختبار. كل هذا ترجم من خلال السيطرة الكبيرة لسياقات تجنب الصراع على حساب السياقات الأخرى، مثل: « راهو يقرا، يخمم»، « نهدر عليهم قع (كيما تحبي**Ψ**) طفلة راهي واقفة»،

« راهو طايح يبكي»، « مرا وراجل»، « مرا طل، حلت الباب»، « راهي توقب عليها»، « راهو يسلم عليها»، « وشنو هذا؟....ديناصور»، « راهو يبكي»، « ثلج»، « مرا تقري في بنتها»، « راني نشوف غير العباد، طفلة مع يماها»، « عرفت بلي هذا راجل، هذي ما عرفتش إذا مرا و لا راجل». كما كان التمسك بالمضمون الظاهري للوحات شديدا، فقد جاءت معظم القصص مبتذلة خالية من أي صراع.

بروز السياقات الأولية (**E**) خصوصا من خلال بندي عدم إدراك مواضيع ظاهرة (**E1**) والإدركات الخاطئة (**E4**) توحي بالصعوبات التي وجدتها المبحوثات للتحكم في العواطف، المشاعر و التصورات. في حين ظهرت صعوبة التقمص من خلال بندي عدم استقرار التماهيات (**B2-11**) و الخلط بين الهويات(**E11**) عند بعض المبحوثات؛ هذا بالإضافة إلى انعدام سياقات البناء السليم (**A1**) و فقر سياقات(**B1**).

هذا ما يتفق مع دراسة هيل وبرونر (**Healy, Bronner**) حول الأحداث الجانحين، إذ وجد أنه لم يتسن لأحدهم قط أن يتقمص شخصا يمثل نظره الوالد الصالح، حيث لم يقم الأب أو الأم بدور يعجب به الطفل، بل قاما بدور لم يقبله الطفل مثلا أعلى له لانعدام الصلة الطيبة والطبيعية بينه وبينهما. (صالح بن محمد آل رفيع العمري، 2002، ص 79)

يمكننا أيضا تفسير الجنوح بنوعية العلاقة أم-طفل، إذ أولت ميلاني كلاين (**Melanie Klein**) أهمية كبيرة لوجود رابط وثيق وحميم دائم بين الأم والطفل، لان كل شكل من أشكال الضعف أو الفقد لهذا الرابط مضر بالطفل خاصة خلال الطفولة المبكرة.

يكون الوليد صورة عن أمه تترسخ في لا شعوره، فالرعاية الكافية غذائيا وعاطفيا تشعره بالاطمئنان فيكون صورة للام الطيبة في ذهنه، سيضفي مشاعر اتجاهها على الآخرين مستقبلا عبر مواقف ايجابية، مما يدل على حياة انفعالية

مستقرة، والعكس صحيح فالإهمال العاطفي للطفل ونقص الرعاية، يطبع في لا شعوره صورة سلبية للأم سيضفيها على الآخرين فيما بعد، عبر السلوك القاسي والعدواني الذي يعكس ما عاناه من قصور عاطفي في طفولته. (مجاهدة الشهابي الكتاني و آخرون، 2001، ص 211)

نستطيع القول في الأخير أنه تحققت فرضية البحث و التي مفادها أن الأطفال المنحرفين أي الفارين من منازلهم أظهروا خصائص نفسية مشتركة في اختباري الرورشاخ و تفهم الموضوع والمتمثلة في: الكف، القلق الحاد، الاكتئاب الشديد وصعوبة التقمصات و التكيف مع الواقع.

9. خاتمة:

إن طفل اليوم هو راشد الغد وتنشئته الأسرية بطريقة سليمة هي حجر الزاوية في تكوين شخصية سوية تحميه من الانحراف، خاصة في ظل زيادة نسب الانحراف الخاصة بالأطفال والمراهقين على حد سواء. و مع زيادة عوامل الجذب للسلوك المنحرف بالإضافة إلى تكاثف عوامل سلبية أخرى مثل: تفكك الأسرة وعجز المدرسة عن ممارسة دورها التربوي، العوامل الاقتصادية كالفقر والبطالة، والخلقية كضعف الوازع الديني، في ظل غياب المثل الأعلى والقدوة الحسنة في محيط الطفل. بالإضافة إلى أسباب أساسية تتعلق بالسمات النفسية للطفل مثل: اللامبالاة ، ضعف الإرادة،الميل للعدوان، حب التقليد، العزلة والشعور بالنقص.

يتمثل دور الوالدين في مساعدة الطفل على اكتساب وتنمية ثقته بنفسه للتوفيق بين رغباته والواقع، ضمن استعداداته الفطرية بطريقة تضمن له الابتعاد عن تلقي الأوامر فقط والالتزام بتنفيذها فقط مما يمنعه من كسب ثقته بنفسه. فحين يفتقد الطفل المناخ الأسري السوي الحازم دون تعصب و المرن دون تدليل مفرط فإنه سوف يفتقد أسباب النمو السوي و المتوازن لشخصيته؛ وعند

مواجهته للمشاكل والصعوبات الحياتية فإنه سيفشل في وضع الحلول الملائمة لها وقد يعتمد أساليب غير سوية أو جانحة، هي بمثابة تعبير صريح ومتوقع عن الشخصية غير الناضجة أو المضطربة.

إن تربية الطفل على احترام النظام والقيام بالواجبات المدرسية، يعلمه معنى الالتزام بالقانون الاجتماعي فينشأ مهيأ ليكون مواطنا صالحا. وتعمل المدارس الحديثة على كشف الانحراف عند التلاميذ كجزء من وظيفتها الطبيعية، وكذلك تتمكن من تقديم المساعدة لهؤلاء الأطفال الذين يظهرون بعض التصرفات الشاذة والقابلة للتحول إلى سلوك منحرف.

إن تورط فئة الأطفال في ممارسة الجريمة يعد مشكلة كبيرة تؤثر في المجتمع ككل وتهدد النظام الاجتماعي. كما تعيق مسيرة التنمية التي تطمح لها الحكومات والشعوب. لذا لابد أن تبذل كل المؤسسات الاجتماعية والحكومية جهدها لحماية هذه الفئة الهشة.

قائمة المراجع:

10. قائمة المراجع:

1- ميزاب، ن. (2007). *المعاملة الوالدية للحدث الجانح و علاقتها بمفهوم الذات (دراسة مقارنة)*. أطروحة دكتوراه دولة، قسم علم النفس، جامعة الجزائر2، الجزائر.

2- مختار، و.- ص. (2000). *أبناؤنا و صحتهم النفسية*، القاهرة: دار العلم و الثقافة.

3- عكاشة، أ. (1998). *الطب النفسي المعاصر*، القاهرة، مصر.

4- سعيد محمد، ن. وآخرون (1993). *انحرافات السلوك لدى المراهقين*(ط1). الإمارات.

- مجموعة من المؤلفين: الشهابي الكتاني، مجاهدة (2001). *أعمال ندوة سوء معاملة الأطفال واستغلالهم غير المشروع* (ط1)، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث.

- بن محمد آل رفيع العمري، صالح (2002). *العود إلى الانحراف في ضوء العوامل الاجتماعية- دراسة ميدانية على بعض المودعين بدور الملاحظة الاجتماعية*- (ط1). الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

- Perron R. (1964). *les problèmes de preuves dans les démarches de psychologie technique*, , Paris : éd Dollon.

- Pedinielli J.-L. (1994). *Le complexe d'oedipe(*1ère édition). Paris : P.U.F.

- Si moussi A., Benkhelifa M. et coll. (2004). Production et banalités au Rorschach en Algérie, *Psychologie clinique et projective*, Volume 10, P 339-354.

- Reuchlin M. (1998). *Les méthodes en psychologie*. Alger : Casbah.